**الزواج والبتولية في نظر مار بولس**

مقدِّمة:

       يلتقي بولس يسوعَ على طريقِ دمشقَ، ويصبِحُ هذا الحدَثُ محورَ حياته ومركَزَها. إنّه الّلقاءُ المفصلي والحاسم، ميلادٌ جديدٌ به يؤرِّخُ بولسُ مصيره مردّداً أنّي: "أنسى ما ورائي وامتدُّ إلى ما هو أمامي" (فل 3/13). ينطلقُ إلى حاضِرٍ ومستقبَلٍ يزخَرانِ بالحياةِ الجديدةِ. هذا اللقاءُ الشخصيُّ بالمسيحِ (اع 9/1-22) هزَّ بولسَ في أعماق كيانه، وأحدَثَ في حياتهِ تغييراً جذْرياً. انطلقَ كلُّ شيءٍ في حياةِ بولسَ من خِبرتهِ معَ المسيحِ.  فملأَ شخصُ يسوعَ قلبَهُ وجوارحه وأفكاره  وتصوُّراتهِ، بل قَلبَ كلَّ مشاريعه. سمِعَ بولس صوتَ المسيحِ القائمِ من الموتِ فبدّلَ حياتَه كُلَّها. ذهبَ ليضّطَهِدُ المسيحيينَ، فعاد يبشِّرُ بأنَّ يسوعَ هو المسيحُ، ذاك الذي تألمَ وماتَ وقُبِرَ وقام، وهو أبداً حاضرٌ في كنيستِهِ حتى نهايةِ الازمنةِ.

       قبلَ البدءِ بمداخلتي، لا بدّ لنا اولاً من الانتباهِ الى المسافةِ الزمنيةِ والاجتماعيةِ التي تفصِلُنا عن نصوصِ العهدِ الجديدِ والتي تعودُ الى حوالي ألفي  سنةٍ، وإلى اختلافِ ثقافةِ ومبادىءِِ وقوانينِ عصرِنا الحاليِّ عن ثقافةِ ومبادىءِ وقوانينِ ذلكَ العصرِ.

 ولا بُدَّ من التأكيد ثانياً على انَّ موضوعَ الزواجِ والبتولية عند مار بولسَ غيرُ مطروحٍ كموضوعٍ محدَّدٍ ومستقِلّ، لأن كتاباتِ بولسَ، كما هو معروفٌ، هي كتاباتٌ رسوليةٌ ظَرْفيةٌ تأتي كإرشادٍ وأجوبةٍ على أحداثٍ حَصَلَت داخلَ الكنائسِ التي أَسَّسها، مرتبِطةٍ بزمانٍ ومكانٍ معيّنينٍ. من هنا لا يُمكِنُنا ان نأخذَ النصوصَ ونعطيَها قوَّة البرهانِ، ذلكَ لأن كلَّ فكرةِ الزواجِ والبتولية عند مار بولس يجبُ ان توضعَ في اطارِها الاجتماعيِّ والتاريخيِّ.

يبدأ بولس دائماً في كلِّ رسائله بِقِسْمٍ لاهوتيِّ يشرَحُ فيه أسسَ ما يكتُبه من الناحيةِ الكتابيةِ والكريستولوجيةِ قبل ان يعطيَ التطبيقاتِ العمليّةَ في الحياةِ المسيحيةِ. فلا يمكِنُنا اذاً ان نَفْهَمَ القِسْمَ الثانيَ من دونِ العودة الى نقاطِ الارتكازِ الموجودةِ في القسمِ الأول.

 إِنَّ نقطَةَ الانطلاقِ التي يرسُمُها بولسُ في كلامِه لتحديدِ موقعِ المؤمنِ ودورهِ في العالمِ هي الوقتُ الذي يُعلن فيه المؤمِنُ إيمانَه الصريحُ بيسوعَ ويقبَلُ بحريّةٍ انتماءَهُ للمسيحِ ويصبِحُ انساناً جديداً في الربِّ يسوعَ، وواحداً معه (روم 6/17).

**I-**   **الزواجُ في رسائلِ مار بولس**

في رسائلِ مار بولسَ الكثيرُ من المقتَطفاتِ التي تتكلَّمُ على الزواج، والاخلاقِ البيتيَّةِ، والزِّنى والطلاقِ، ومعاملةِ الزّوجين المتبادلَة ومطالبِ الحياةِ المشتَركة، ولكنَّني سأركِّزُ في مداخلتي هذهِ على نصّينِ هما في رأيي الأكثر أهمية، حيثُ يعالِجُ مار بولسُ قضيةَ الزواجِ المسيحي بشكلٍ مُسْهَب.

الرسالةُ الاولى الى اهل قورنتسَ (7/1-39)، والرسالةُ الى أَهْلِ أَفسَسُ (5/22-32).

أ‌-     الرسالةُ الاولى الى اهل قورنتس (7/1-39)

          إِنَّ موضوعَ هذا الفصلِ هو اعطاءُ اجوبَةٍ عن سِلْسِلَةٍ من المسائلِ التي ترتبِطُ بالزواجِ والعلاقةِ بَين الرجلِ وامرأتِه. مشاكِلُ كثيرةٌ اعترضتْ حياةَ الجَماعةِ المسيحيّةِ الاولى في قورنتس ووصلت أخبارُها إلى بولسَ، فكان عليهِ التصدّي لها ومعالجتُها للمحافظةِ على هذه الكنيسةِ. وكان وضعُ الرجلِ والمرأةِ والعلاقةُ الزوجيَّةُ احدى هذهِ المشاكلِ.

 وصلَ الأمرُ بالبعضِ من القورنثيينِ الذين يعتبرونَ أَنَّ على المُعَمَّدين ان يَتَخلّوا عن الحياةِ الزوجيّةِ نتيجةً لتخلّيهم عن الحياةٍ في العالَم: "بأن يَحْسُنُ للرجلِ أَنْ لا يَمَسَّ المرأة"؛ (7/1) إلاّ أَنَّ بولسَ يحذِّرُهُمُ من خَطَرِ الفجورِ "فليكن لكلِّ واحدٍ امرأتُه، ولكلِّ واحِدَةٍ رَجُلها" ( 7/2)، الزوجُ يوفي امرأتَهُ حقَّها، والمرأةُ توفي زوجَها حقَّهُ. لا سلطةُ للزوجِ على جَسدهِ، إِنَّهُ لامرأتهِ ولا سلطةَ للمرأةِ على جَسَدِها، انه لِزَوْجِها (7/2-4) ويطلبُ بولسُ العودةَ دوماً، بعدَ فترةٍ من العمل والصلاةِ وبالتراضي، إلى بعضهما البعضِ خوفاً من الوقوعِ في شَرَكِ الشيطانِ (7/5).

  يتوجَّهُ بولسُ الرسولُ إلى العائلاتِ التي عَرفها، إلى الزوجِ والزوجةِ وعلاقةِ الواحدِ بشريكَةِ حياتهِ، فيفهَمُ حياةَ التبادلِ بينهما على أَنَّها نِعمَةٌ كبيرةٌ. ففي عالَمٍ يقول بأَنَّ الرجلَ يستطيعُ أن يتزوّجَ بأَكثَرَ من امرأةٍ، يُعْلِنُ بولس الرسولُ أنّ للمرأةِ كرامةً رفيعةً على مستوى النعمةِ والخلاصِ وعلى مستوى الحياةِ اليوميّةِ. صارتِ المرأةُ مساويةً كلَّ المساواةِ بالرجلِ، وما عادَتْ سِلْعَةً يتصرّفُ بها الرجل  على هواه، لا فرقَ بين رجلٍ وامرأةٍ. "فليكُنْ لكلِّ واحدٍ امرأتُه، ولكلِّ واحدةٍ رَجُلُها" (7/2) ذلكَ يعني ان لا مجالَ لتعدّدِ الزوجاتِ عندَ الرجلِ، ولا مكان للزنى في حياةِ المرأةِ. وهناك حقوقٌ للزوجينِ، كلِّ واحدٍ على الآخر. والمطلوبُ أن يَفِيَ كلُّ واحدٍ بالوعد والحقوق. لا سلطةَ لكلِّ شريكٍ على جسده بل أصبحَتْ هذه السلطة للشريك الآخر (7/4).

    يوحي كلامُ بولسَ بالبعد الجديدِ والعميقِ بما يخصُّ الزواجَ. لا يحقُّ للمرأةِ ان تماِرسَ العلاقة الزوجية معَ غيرِ زوجِها. ففي الزواجِ المسيحي لم يعُدْ جَسَدُها لها. فقد قدّمَتْ ذاتَها روحاً ونفساً وجسداً لشريكِ حياتها. وما يسري على المرأةِ يسري على الرجلِ. لا فرقَ بين الاثنينِ. فجسدُ الرجلِ ليسَ لهُ أن يعطِيَه لمنْ يشاءُ. إِن الزوجَ لا سلطةَ له على جسدِه، فهو لامرأتِه. هذه المساواةُ بينَ الرجلِ والمرأةِ هي أيضاً على مستوى الروحِ والحياةِ الدينيّةِ والتقوى.

أَتى كلامُ بولسَ يَقْلِبُ المفاهيمَ في أيامِه. نقرأُ في (7/14)، إنّ "المرأَةَ غيرَ المؤمنةِ تتقدّسُ بالزوجِ المؤمنِ" حتى وإِنْ كانَتْ وثنيةً، و"الزوجَ غيرَ المؤمنِ يتقدَّسُ بامرأتِه المؤمنةِ". فالمرأةُ تكوُن بارّةً، شأنُها شأنُ الرجلِ.

يقدّم لنا بولس تعليماً عن المساواةِ بين الرجلِ والمرأةِ في الحياةِ الزوجيةِ. وسيقولُ لنا في خطِّ يسوعَ المسيحِ وتعليمِه (7/10-11) "لا تفارِقُ المرأةُ زوجَها، وان فارَقَتْه، فلتبقَ بغيرِ زواجٍ أَو فلتصالِحْ زوجَها، وعلى الزوجِ ألاّ يطلّقَ امرأتَه". ذاك هو امرُ الربِّ يردّدُه بولسُ في الكنائسِ التي أَسسها حولَ الطلاقِ الذي كان الزوجُ يمارِسُه لأَتْفَهِ الاسبابِ. خرجَ بولسُ من هذا التمييزِ بين ذكرٍ وانثى، بين رجلٍ وامرأة.

نَخْلُصُ الى عِدَّةِ نتائجُ من هذا النصّ وهي:

1- صُحَّةُ وشرعَةُ الزواجِ:

          لا أحدَ يستطيعُ ان يمنَع الزواجَ، وحالةُ بولسَ في البتوليةِ تتَطلَّبُ نعمةً وعطيَّة خاصَّتيْنِ من الله، والزواجُ هو خيرٌ للزوجينِ، ولاطفاءِ الشهوةِ وَعَدَمِ التحرّق، "فالزواجُ خيرٌ من التحرّقِ" (7/9)، لا خطيئة في الزواجِ  فهو واجِبٌ أخلاقيٌّ.

2-  حقوقُ الزوجينِ المتبَادلَةُ وواجباتُهما

          حقوق الجسدِ، حيثُ كلُّ واحدٍ لهُ سلطانٌ على جسدِ الشريكِ الآخَرِ (7/4)، إِن الفعلَ الزوجيَّ ليس مِنَّةً مِنْ أحد، لكِنْ واجبٌ وَدَيْنٌ للآخَرِ. من هنا نرى المساواةَ بينَ الرجلِ والمرأةِ، وليسَ هناكَ من تفوّق واحدٍ على آخرَ، غيابُ الفعلِ الزوجيِّ يجِبُ ان يكونَ بالتراضي، أَيْ برضى الاثنين معاً، والهدفُ منه ان يتفرّغا للأشغال والصلاةِ، ولمدّةٍ محدّدةٍ لكي لا يقعا في التجربة.

3- عدم انحلال الزواج Indissolubilité du mariage او عَدمُ فسخِ الزواج

          كانَ الطلاقُ يُمارَس بكثرةٍ في العالَمِ الرومانيِّ واليهوديِ واليونانيِ. فمار بولس يرفُضُ رفضاً باتّاً فراقَ الازواجِ وهو يأمرُ في الآيةِ 10، بوصيَّةٍ من الربَّ "أمّا المتزوجون فآمرُهم، لا أنا بل الربُّ، الاّ تفارِقَ المرأةُ رَجُلَها" (7/10).

وهناك حالتانِ يجبُ أَنْ تَفْعَلَهُما إذا فارَقَتْه:

 إمّا ان تبقى من دون زواجٍ او تصالِحُ رَجُلَها (7/11). إذاً هو لا يَسمَح بزواجٍ من جديدٍ. فرباط الزواج لا يُحَلّ إلا بموتِ احدِهما. وهذا ما نراهُ في الرسالةِ الى الرومانيينَ "فالمرأةُ المتزوِّجَةُ تربِطُها الشريعةُ بالرجلِ ما دام حيّاً، فإذا ماتَ حُلَّت من الشريعةِ التي تربِطُها بزوجها" (روم 7/2). الكلامُ هنا عن المتزوجينَ المسيحيينَ. فلا فسخَ للزواجِ المسيحيِّ، بأمرٍ صريحٍ ومطلَقٍ من الربِّ نفسهِ: "وما جمعه الله لا يفرّقه انسان"(متى 19/6).

4-     في الزواج المُخْتَلَطِ

          ويأتي الكلامُ هنا على المتزوجين، إذا كان أحدُ الزّوجين مسيحياً، والثاني غيرَ مسيحيٍّ. يعطي القديسُ بولسُ حلاًّ شخصيّاً "فأقول أنا، لا الربُّ" (7/12)، إذا رضيَ الزوجُ غيرُ المؤمِن بأن يساكِنَ زوجَتَه المؤمِنَة، وِفْقَ شريعةِ الانجيلِ، فلا فَسْخَ للزواج. أمّا إذا لم يرضَ، فَيَرى بولسُ، وهذا ما يُدعى "بالانعامِ البولسيِّ"، أنَّ  فسخَ الزواجِ ممكِنٌ، والزواجُ من جديدٍ ممكِنٌ أيضاً" (7/15).

ب‌- الرسالةُ الى أَهْلِ أَفسَسُ (5/22-33)

          لهذا النصِّ وَقْعٌ مغايرٌ عن الرسالةِ الاولى الى أَهل قورنتُسَ، وهو يمتازُ بتناغمٍ جميلٍ بين الرجلِ والمرأةِ والمسيحِ والكنيسةِ، يعطي هذا النص نظرةً جديدةً إلى العلاقاتِ الزوجية والبيتيةِ والاجتماعيَّةِ.

1 - تشبيهُ الزواجِ البشريِّ باتحادِ المسيح والكنيسة

          إِنَّ  "الخضوعَ" الواردَ في الآيةِ 22 يقلق ويزعج ويخيفُ نساءَ اليومِ، ويجعَلُنا امامَ إِرباكٍ صعْب، كيفَ يجِبُ على المرأةِ ان تكونَ خاضِعَةً للرجل؟ إِنَّ مثلُ هذا الخضوع يحطُّ من كرامة وحريّةِ المرأةِ ومساواتِها للرجلِ؟ لكنَّ البعد المسيحيَّ الذي يشدّدَ عليه بولسُ الرسولُ يغيَّرَ معنى ومضمون هذه الكلمةِ "الخضوع"، ويعطيها مدى وتفسيراً جديدين إذ يحوّلها من "خضوعٍ" استعبادي إلى "خضوعِ" إيمانٍ ومحبةٍ وخدمةٍ "بمخافةِ المسيحِ" (5/21)، "كما تَخْضَعُ الكنيسَةُ للمسيحِ" (5/24).

 وهنا نسألُ ماذا فعلَ المسيحُ للكنيسة؟ ماتَ من أجلِها، ليخلصها، "ليس لأحدٍ حُبٌّ أعظمُ من أن يبذِلَ نفسَهُ في سبيلِ أحبَّائهِ" (يو15/13). المسيح غسل أرجلَ تلاميذه: " ثمَّ صبَّ ماءً في مَطْهَرَةٍ وأخذَ يَغسِلُ أقدامَ التَّلاميذ، ويَمسَحُها بالمنديلِ الذي ائتَزَرَ بهِ" (يو13/5).

وهنا يصحُّ التشبيهُ، كما هي علاقةُ المسيح بالكنيسة، يجِبُ ان تكونَ علاقةُ الزوجِ بزوجتِهِ. المسيحُ هو رأسُ الكنيسةِ، هو "الرأسُ" اي السلطةُ وهو "المخلِّصُ"، اي المُحبّ والمحيي. لا يمكِنُ فصلُ سلطةِ المسيحِ في الكنيسةِ عن حُبّه لها، وقد بَذَلَ نفسَه من أجلِها ليخلِّصَها (5/25-27). يُظهِرُ ذلك ان سلطَةِ الزوجِ على امرأتِه ترتكِزُ على محبةٍ مجانيةٍ، وعطاءٍ ذاتيٍّ كامِل. فلا سلطةَ من دون محبّة.

ويتوجَّهُ بولس أيضاً الى الأزواجِ كما يَتَوَجَّهُ إلى النساءِ. إذ يختصِر الرسولُ واجِبَ الرجلِ لامرأتهِ بكلمةٍ واحِدَةٍ "المحبة"، مُعَللاً ذلكَ بمحبةِ المسيحِ لكنيستِه، ليزِفُّها إلى نفسِه بعدَ أَنْ يكون قد طَهَّرَها ونقّاها وقدَّسَها.

    إِنَّ  مَحَبَّةَ الرجلِ لامرأتِه كمحبَّتِه لِجَسَدِه، والجسدُ هنا يعني الجسدَ والذات البشرية والانسانَ بكليّته. (5/23، 28، 30) على الرجلِ أن يحبَّ امرأتَه حبَّهُ لجسدِه، وحبَّهُ لنفسِه، لأنَّ امرأتَهُ هي عظمٌ من عظامه ولحمٌ من لحمهِ، شخصُه الآخرُ، ذاتُه الاخرى (تك 2/21-24).

يشدّدُ الرسولُ بولسُ ويركِّزُ على وَصْفِ علاقةِ المسيحِ بالكنيسةِ، ولا يَصِفُ علاقةَ الزوجينِ بحدِّ ذاتِها، لأنَّ الأهَمَّ بالنسبة إليه هو أن يعطيَ لعلاقتِهما الزوجيَّةِ معنى وقيمةً، في ضوءِ إيمانهِما المسيحيّ واختبارِهما الكنسيِّ.

2-  هذا السرُّ لَعظيمٌ (5/32).

    يعودُ بولسُ إلى الفصلِ الثاني من سِفْرِ التكوين، حيثُ يبيّنُ أنّ الرجلَ والمرأةَ هما واحدٌ في الزواجِ. "فلذلكَ يتركُ الرجلُ الأبَ والأمَّ ويلزَمُ امرأتَه فيصيرانِ كلاهُما جسداً واحداً" (تك 2/24، متى 19/5، مر 10/6-8)، اقور 6/16).

يعودُ بولسُ إذاً إلى بَدْءِ الخليقةِ وإلى قصد اللهِ من الزواجِ وكيفيَّةِ العلاقةِ بينَ الرجلِ والمرأةِ، ويفسّرُ هنا اتحادَ الزوجينِ الأَوَّلَيْنِ تفسيراً نبويّاً (5/31-32-33). فهو يرمُزُ إلى اتّحادِ المسيحِ والكنيسةِ، وهذا ما يعطي سرَّ الزواج عظمَتَهُ وقدسيته. "إنّ هذا السرَّ لعظيمٌ: أمّا أنا فأقولُ ذلك بالنظرِ إلى المسيحِ والكنيسةِ" (5/32). فالزواجُ في المفهومِ الكتابيِّ، ليس مجرَّدَ علاقةٍ بشريّةَ عابِرَةٍ، بل هو عهدٌ وشراكَةٌ وأمانَةٌ ثابِتةٌ، وِفْقَ إرادةِ الخالقِ (مر 10/6-8). والجديدُ في المفهومِ المسيحيِ هنا في هذهِ الآية، هو اعتبارُ الزواجِ سرّاً يستمِدُّ من سرّ وحدةِ المسيحِ وكنيستهِ كلَّ معناه وجميعَ مُلْزِماتهِ.

ماذا يريدُ بولسُ قَوْلَهُ؟

             إِنَّهُ يتوجَّهُ إلى الزوجينِ المسيحيينِ اللّذين يخضعانِ لمبدأ قانونيٍّ مُشْتَرَكٍ بينَ المجتمعاتِ اليهوديةِ واليونانيةِ والرومانيةِ يَقوم على مبدأ "خضوعِ" النساءِ لأزواجِهنَّ، "في الرب". أرادَ بولسُ "مَسْحَنَةَ" العلاقةِ الزوجية بإعادتِها إلى الربِّ. مع المسيحِ يتخطَّى المسيحيّونَ مستوى القانون والعُرْفِ ليدخلوا مستوى الاخلاقيةِ المسيحيةِ المبنيّةِ على مثالِ المسيحِ: محبَّةٌ مرتكزة على عطاءِ الذاتِ. فإنْ كانَ لا بدَّ للمرأةِ من "الخضوعِ" فذلك بالربِّ، وأيضاً يتوجَّهُ للرجالِ "ايها الرِجالُ، أَحِبّوا نساءَكم كما أحبَّ المسيحُ الكنيسةَ وجادَ بنفسهِ من اجلِها" (5/25). من هذا المنطلَقِ لا تَطْرَحُ مسأَلَةُ "خضوعِ المرأةِ"، لِمَنْ هو مستعِدٌّ للموتِ من اجلِها أيَّة مُشْكِلةٍ. فالمرأةُ ترى في الانقياد لزوجِها بذلاً لذاتِه حبّاً بها (5/22 و33) فالمحبَّةُ هنا تُعطِي "لخضوعِ المرأةِ" معنى جديداً فَتُحَوِّلُ الخوفَ احتراماً ووفاءً وخدمةً ليس فيها ايُّ اثرٍ للدونيَّةِ، وهنا يُعْطي المفهومُ الجديدُ للسلطةِ كخدمةٍ على مثالِ الربِّ يسوعَ. لأنّ قوام المحبّة الخدمة وقوام الخدمة العطاء السخيّ وليس التسلّط وحب ّ السيطرة على الشريك الآخر.

**II-**            **البتوليَّةُ في نظرِ بولسَ**

               لم يتكلَّمْ مار بولس على البتوليّةِ بشكل مُسْهَبٍ، أو بالأحرى لَمْ يعالِجْ موضوعَ البتوليّةِ بشكل مُنفرِدٍ بل اتى كلامُه عليها في سياقِ ردٍ على عدةِ اسئلةٍ ومعلوماتٍ وردَتْهُ من بعضِ الكنائسِ التي أَسّسَها ومنها كنيسةُ قورنتسَ (الفصل السابع) فهوَ إذاً لا يعالِجُ هذا الموضوعَ بالتفصيل وبصورةٍ دقيقة وشاملةٍ بل يجيب عن أسئلة خطّيه وردَتْه من أهل قورنتس. إذاً، يتوجَّهُ بولس إلى جَماعةٍ مسيحيةٍ متجدِّدةٍ وآتيةٍ من العالَمِ الوثنيِّ، فيحاولَ أن يرفَعَها إلى قِمّةِ العالمِ المسيحيِّ سواءٌ على مستوى الزواجِ والحياةِ الزوجيةِ أو على مستوى الحياةِ في البتوليّة.

سأنطلق في هذا البحث حول البتولية، من رسالة القديس بولس الاولى إلى أهل قورنتس الفصل السابع حيث نجد جواب بولس حول البتوليّة بشكل واضح.

       يعتبرُ بولسُ أنّ لكلّ إنسانٍ موهبةً في هذهِ الحياةِ وعليه أن يسيرَ بموجَبها لأنّها مُعطاةٌ له من قِبَلِ الله. وإِنَّ  اختيارَ البتوليّةِ هو ايضاً موهبةٌ خاصَّةً من الله (7/7). والزواجُ مرتبِطٌ أصلاً بعلاقةِ الرجلِ بالمرأةِ  ويستجيب لحاجاتِ محدّدة، منها الحاجةُ الجسدية. فهو "خيرٌ من التحرّقِ" (7/9) وما قولُ بولسَ: "أريد أن يكونَ كلُّ الناسِ مثلي (7/7) ودعوتُه للعازبينِ والأراملِ الى أن يبقوا مِثْلَه (7/8) ليست سوى تأكيدٍ على نسبيَّةِ الزواجِ أمامَ مُطْلَقِيَّةِ الانتماءِ للربِّ. لذلك فإن ما يَتَفَرَّعُ عن الزواجِ وخصوصاً العلاقةُ الجسديةُ يخضَعُ لمعيارِ النسبيةِ بحيثُ يمكِنُ التصرّفُ به خدمةً لمُتَطلِّباتِ الانتماءِ إلى الربِّ. يعتبرُ بولسُ البتوليّةَ مثلاً عالياً، ليسَ في متناول الجميع.

لا بدَّ من التنويهِ بأن بولسَ يقدّمُ في هذا المجال رأياً ونصيحةً لا أمراً إذ يصرّح بأنه لم يتلقَّ بذلك أمراً من الربّ، وهو يشيرُ هنا إلى قولِ يسوعَ في هذا العدد (متى19 /12) "وفيهم من خصوا أنفسَهم في سبيلِ ملكوتِ السماوات". فحدودُ الرأيِ هو شخصُ بولسَ الذي يحكُم عليه بوصفهِ "ثمرةَ الرحمةِ التي نالَها من الربّ" (قور 7/25). فالبتوليّةُ اذاً، يمكِنُ ان تكونَ كالزواجِ  خياراً أخلاقياً حرّاً نابعاً من حقيقةِ الانتماءِ للربِّ وهي مقبولَةٌ من بولس، لا بل يشجّع عليها من حيثُ إنّها تساعِدُ المؤمنَ أكثرَ من الزواجِ على عيشِ انتمائهِ الكليِّ للربِّ.

يُعطي بولسُ مثالاً على ذلك عندَما يميّزُ الكلامَ الصادرَ عن الرب "أما المتزوجونَ، فآمُرهُم، لا أنا بلِ الربُّ، "ألاّ تفارِقَ امرأةٌ رَجُلَها" (7/10) من الكلامِ الذي يَنْصَحُ به هو: "أما في شأنِ العذارى، فليسَ لي أمرٌ من الرب، لكِنْ أُبدي رأياً،..." (7/25). فعندما يعودُ الأمرُ إلى وحي اللهِ ووصاياه، فإن الحرّيةَ لا تملِكُ حقَّ التصرّفِ به، والمؤمِنُ يعرِفُ من خلالِ تمييزه ما هو للرب مِمّا هو للناس، ان يتمسَّكَ بالثوابتِ ويَقبلَ المتغيّراتِ والفروقاتِ على أنواعِها. إنّه يسعى إلى غايتهِ وإلى أن يكونَ "أكثرَ غِبطَةَ" عندما ينقادُ إلى عملِ الروحِ (7/40) ويفهَمُ أنّهُ بالرب يصبِحُ من أخصّاءِ الله وأنّه ينظرُ إلى حياتهِ كلِّها، وخصوصاً إلى حياتِه الاخلاقيةِ على أنّها مسيرةٌ "أمام الله" (7/24). فانطلاقاً من هذا التحوّلِ العميقِ في شخصِ المؤمنِ، يُطلَبُ منه بان تكونَ حياتُه الاخلاقيَّةُ ثمرةً لهذا التحولِ فيشارِكَ في إظهارِ الانسانِ الجديدِ إلى الملأ. وهي تتخذُ بذلك صفةَ الضرورةِ التي بدونِها يَفْقِدُ الانسانُ الجديدُ بُعدَهُ العمليَّ الذي لا ينفصِلُ عن دعوتهِ إلى الخلاصِ.

يقول سفر التكوين في (2/18): "لا يحسن أن يكون الانسان وحده". إلاّ أنّه تظهر مثاليّة جديدة في ملكوت الله الذي أسَّسه يسوع. فبعض الناس، في سبيل الملكوت، "سيخصون طواعيةً أنفسَهُم" (متى 11/19-12). تلك هي مفارقة البتوليّة المسيحية. فإن بين زمن العهد القديم، الذي كانت الخصوبة فيه تعتبر من الواجبات الاوليّة ضماناً لاستمرارية وجود شعب الله، وبين ظهور المسيح الثاني المجيد، حيث سيُبطل الزواج (متى 30/22)، تقوم صورتان للحياة، متعايشتين معاً في الكنيسة: حياة الزواج التي يتجلّى وجهها بفضل المسيح والكنيسة، وحياة العزوبة المكرسة، التي يعتبرها بولس الحياة الافضل (1 قورنتس 8/7 و25-28). فليس المقصود الاستهانة بالزواج (1/7)، بل جعل الحياة في مِلء سرّ العرس السماوي، الذي يشترك فيه كل مسيحي مسبقاً بالعماد (2 قورنتس 2/11). فبالاتحاد بالرب اتحاداً لا مشاركة فيه، بحيث لا يرضى أحداً سواه (1 قورنتس 32/7- 35)، نشهد بأن صورة هذا العالم الحاضر، الذي يرتبط به نظام الزواج، تسير نحو نهايتها (31/7). وتطلعاً الى ذلك يُبدي بولس على الأرجح هذه الأمنية: "الذين لهم نساء فليحيَوا كالذين لا نساء لهم" (29/7)، والأرامل فلا يتزوّجن. إلاّ أنّ كلّ ذلك يخضع في النهاية لإرادة الله: إنّنا بصدد دعوات متنوّعة ومتمِّمة بعضها بعضاً في جسم المسيح. في هذا المضمار، كما في غيره، "كلّ إنسان ينال من الله موهبة مخصوصة له، فبعضهم هذه وبعضهم تلك" (7/7، متى 11/19).

يمكِنُ تلخيصُ تفكيرِ مار بولسَ في هذا الموضوعِ بما يلي:

 - على كلِّ مؤمنٍ، مبدئيّاً، أن يختارَ الحالةَ التي كان فيها حينَ دعاهُ الله، ويبقى عليها طوالَ حياتهِ. البتوليةُ حالَةٌ أكملُ وأنفعُ روحياً من حالةِ الزواجِ، والزواجُ تكامُلٌ بين الرجلِ والمرأةِ، دواءٌ للشهوةِ وغايتُه أيضاً القداسَةُ.

- في كلامِ بولسَ الرسولِ، لم يَعُد للزواجِ الطابَعُ المطلَقُ الذي كان له في الرؤيةِ اليهوديةِ التي شجبَتْ كلَّ رفضٍ للإنجاب. بل جاءَ الرسولُ يقدّم للمسيحيِّ البتوليّةَ التي يختارُها في اتحادٍ ناشطٍ مَعَ الرَّبِّ من أجلِ عائلةٍ أوسعَ من العائلةِ الصغيرةِ التي نعرِفُها والتي تتألَّفُ من رجلٍ وامرأةٍ وأولادٍ.

- هو يوجّه "أعطي رأيي كرجلٍ جعَلْته رحمةُ الربِّ موضِعَ ثقة" (راجع 7/25). والنصيحةُ هي الحياةُ في البتوليّةِ والسببُ في ذلك:

- أنه يوجَدُ مشقّةٌ في همومِ الحياةِ الزوجية والعائلية، والرسولُ يريدُ أن يُبْعِدَها عنه.

- إنّ نهايةَ العالَمِ قريبةٌ، فلا نزِدْ ضيقاً على ضيقٍ في اهتماماتِ حياةٍ زوجيةٍ نحن بغنى عنها (7/28). وفي هذا الخَطِّ يدعو بولسُ حتى المتزوجينَ الى أن يعيشوا نوعاً من العفّةِ (7/29) فلا تسيطرُ عليهم أمورُ الزواج وهذا ما يُسمّى في تعاليم الكنيسةِ العفّةُ في الزواجِ على مثال العفّةِ في البتوليّةِ.

- ما يَهُمُّ بولسَ هو رضى الرب. غيرُ المتزوجِ يهتمُّ بأمور الربِّ، كيف يُرْضي ربّه، والعذراءُ وغيرُ المتزوّجةِ تهتمانِ بأمورِ الربِّ فتنالان القداسةَ نفساً وَجَسداً. وهذهِ الطريقةُ ليستِ الطريقَة السهلةَ، ولن يتبَع جميعُ الناسِ الرسولَ بولس في ما يقدِّمُ من خياراتٍ ولكن ما يريده بولسُ هو خيرُ المؤمنينَ وخلاصهم.

خاتمة

               يَظْهَرُ لنا أنّ تعاليمَ مار بولسَ ما زالتْ حيَّةً حتّى اليومِ لأنّ مجتمَعنا المسيحي هو، للأسف، أبعدُ ما يكونُ اليوم عن فَهْمِ الحياةِ الزوجيةِ الصحيحة، وعن تقديرِ البتوليَّةِ حَقَّ قَدْرها وعن إدراكِ أبعادِ "العِفَّةِ في الزواجِ".

 يحتوي تعليمُ بولس على مدلولاتٍ كثيرةٍ تُفيدُنا اليومَ في محاولَةِ فهمِنا للعلاقةِ بينَ الحياةِ الاخلاقيّةِ والايمانِ، وللمكانَةِ التي يجِبُ ان تُعطى لوصايا اللهِ في السلوكِ الاخلاقيِّ المسيحيِّ ولتمييزِ ما هو ثابت ممَّا هو متغيّر فيه. ما زالَ فكرُ بولسَ بعدَ ألفي سنةٍ ونيّفٍ يحرّكُ الناسَ في عالَمِنا المعاصِرِ. فلا تزال شخصيّته والتزامهُ الايماني والمسيحي  وكتاباتُه وإرثهُ الروحيُّ يضجُّ في عالم اليوم.

لأنّ اوّلَ ما وصلَ إلينا من كتاباتِ العهدِ الجديدِ كانتْ رسائلُ بولسَ التي حَمَلَتْ إلينا تعليماً لاهوتيّاً وأخلاقيّاً ما زالت الكنيسة تستقي منه في تعاليمها وتوجيهاتها حتّى  اليوم،  وستبقى كذلكَ حتى نهايةِ مسيرتِها على هذهِ الارضِ.

المراجع:

- الفغالي الخوري بولس، رسالة القدّيس بولس الاولى الى أهل كورنتس*،* كلام الله 1، منشورات الرسل 1993.

- الفغالي الخوري بولس، رسالة القديس بولس إلى الرومانيين (سلسلة محطات كتابية 1؛ المطبعة البولسية، جونيه، لبنان 1995) 126-134.

- مجموعة محاضرين، رسائل القديس بولس (سلسلة محاضرات، دير مار روكز، الدكوانة، لبنان 1999)، 33-41.

- *الكتاب المقدس، العهد الجديد*، كلّية اللاهوت الحبريّة، جامعة الروح القدس- الكسليك، 1992.

- BECKER Jürgen,Paul, l’apôtre des nations, Médias Paul, Cerf, 1995.

- CARR Anne, La femme dans l’Eglise, Tradition chrétienne et théologie féministe. Cogitatio fidei 173 ; Cerf, Paris, 1993.

- CERFAUX L., La théologie de l’Eglise suivant St. Paul, Unam Sanctam 54 ; Cerf, Paris, 1965.

-De SURGY P.- CARREZ M*.,*Les épîtres de Paul. 1 Corinthiens, (Bayard- Centurion 1996) 102.